مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i4.339

أسلوب الحكمة وأثره في بناء العقيدة الإسلامية

الباحث:

م. د. تحرير طه عبد الإله العامري، ديوان الوقف السني، دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية – جمهورية العراق.

البريد الالكتروني: dr.tahreertaha@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٠١ شوال ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (٢٠ شوال ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (١٩ ذو ذولحجة ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٨ ذو الحجة ١٤٤٧)

الملخص: تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث العلمية الشرعية التي تُعنى بأساليب الدعوة إلى الله تعالى وأثرها في تعزيز البناء العقدي للأمة الإسلامية، إذ تتناول أسلوب الحكمة بالدراسة والتحليل من خلال مصادره الشرعية الأصيلة ونماذجه التطبيقية عبر تاريخ الدعوة الإسلامية، سعياً إلى استجلاء معالمه وضوابطه وأثره العميق في تثبيت العقيدة وجذب القلوب، تكمن أهمية الدراسة في تأصيل مفهوم الحكمة من مصادره الشرعية الأصيلة، وإبراز دورها في الخطاب الدعوي المتوازن الجامع بين العقل والوجدان، لا سيما في ظل التحديات الفكرية المعاصرة التي تستدعي منهجاً دعوياً رشيداً يراعي أحوال المدعوين النفسية والفكرية والاجتماعية، وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن المفهوم الحقيقي للحكمة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، وإبراز علاقتها بأساليب الدعوة، وإثبات أنها منهج متكامل يتجاوز اللين والرفق إلى وضع الأمور في مواضعها وفق مقتضى الحال، فضلاً عن استخلاص نماذج تطبيقية من سيرة السلف لاستنباط ضوابط عملية معاصرة. واعتمدت الدراسة (المنهج الاستقرائي) بتتبع النصوص الشرعية، و(المنهج التحليلي) بدراسة أقوال العلماء، و(المنهج التاريخي) باستعراض نماذج من تاريخ الدعوة الإسلامية، و(المنهج الوصفي) في عرض المعلومات وتصنيفها وترتيبها ترتيباً منهجياً واضحاً، وتوصلت الدراسة إلى أن مفهوم الحكمة جاء بمعانٍ متعددة تشمل النبوة والعلم والفقه وحسن التدبير، وأن أسلوبها يسهم في تثبيت العقيدة وجذب القلوب وتقليل النفور من الدين، في حين يؤدي غيابها إلى ضعف التأثير الدعوي وظهور ردود فعل سلبية، ويوصي الباحث بتدريب الدعاة على تطبيقاتها المعاصرة وتفعيل دور المؤسسات العلمية في ترسيخ هذا المنهج.

الكلمات المفتاحية: أساليب الدعوة، الحكمة والعقيدة، التأثير الدعوي، بناء الإيمان، أساليب الإرشاد.

The wisdom approach and its impact on building Islamic belief

ABSTRACT: This study examines the method of wisdom (hikmah) and its role in building Islamic creed, drawing upon authentic religious sources and practical applications throughout Islamic da'wah history. It aims to clarify wisdom's principles and their profound impact on consolidating creed and winning hearts. Significance: The study highlights wisdom's pivotal role in balanced da'wah discourse integrating reason and conscience, particularly amid contemporary intellectual challenges requiring an enlightened methodology attentive to the psychological and social circumstances of those being called to Islam. Objectives: The study seeks to uncover the true meaning of wisdom in the Quran and Sunnah, prove it is a comprehensive methodology beyond mere gentleness, and derive practical models from the pious predecessors for contemporary application. Methodology: The study employs three approaches: the inductive method by tracing religious texts; the analytical method by examining scholarly interpretations; and the historical method by reviewing applied models from da'wah history. Findings: Wisdom encompasses multiple meanings including knowledge, jurisprudence, and sound governance in da'wah. Its application consolidates sound creed and reduces aversion to religion, whereas its absence weakens da'wah effectiveness and generates adverse reactions. The researcher recommends training callers to Islam in contemporary applications of wisdom and activating academic institutions in entrenching this methodology.

Keywords: Building faith, Da'wah methods, Da'wah impact, Guidance approaches, Wisdom and creed.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أولاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

١. الأهمية العلمية: يسعى البحث إلى تأصيل مفهوم الحكمة من مصادره الشرعية الأصيلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وجمع أقوال العلماء وتحليلها في منظومة علمية متكاملة، مما يُثري المكتبة الإسلامية بدراسة منهجية رصينة في هذا الباب.
٢. الأهمية الدعوية: إن الحكمة ركيزةٌ أساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، وفهمها فهماً صحيحاً يُعين الداعية على بناء خطابه الدعوي بصورة متوازنة تجمع بين العقل والوجدان، وتراعي أحوال المدعوين النفسية والفكرية والاجتماعية.
٣. الأهمية العقدية: يتناول البحث أثر الحكمة في بناء العقيدة الإسلامية وترسيخها في النفوس، إذ إن صحة المنهج الدعوي تنعكس مباشرةً على سلامة التلقي وعمق الأثر في القلوب.
٤. الأهمية المعاصرة: تزداد الحاجة إلى هذا البحث في ظل التحديات الفكرية والشبهات العقدية المعاصرة، التي تستلزم داعيةً حكيماً يُحسن مخاطبة العقول ويُجيد التعامل مع مختلف الفئات، بعيداً عن التنفير والتشديد.

ثانياً: مشكلة البحث:

يعاني كثير من الدعاة إلى الله تعالى في العصر الحاضر من ضعف التأثير في المدعوين، وذلك بسبب إغفال أسلوب الحكمة أو سوء تطبيقه، مما أفضى إلى نفور الناس من الدعوة الإسلامية بدلاً من انجذابهم إليها، وتتجلى المشكلة في الخلط بين مفهوم الحكمة الحقيقي وبين مجرد اللين والرفق فحسب، دون استيعاب أبعادها الشاملة التي تمتد من الموعظة الحسنة إلى الجدال بالتي هي أحسن وصولاً إلى الحزم والقوة عند الاقتضاء، فضلاً عن ضعف الربط بين أسلوب الحكمة وأثره المباشر في بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ثالثاً: أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقصود بأسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله لغةً واصطلاحاً؟
٢. كيف وردت الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية وما دلالاتها؟
٣. ما مراتب أسلوب الحكمة وكيف يختلف تطبيقها بحسب حال المدعوين؟
٤. كيف طبّق الصحابة والسلف الصالح أسلوب الحكمة في دعوتهم عملياً؟
٥. ما أثر أسلوب الحكمة في بناء العقيدة الإسلامية وترسيخها في النفوس؟

رابعاً: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الجملة الآتية من الأهداف:

١. بيان المفهوم الصحيح والشامل لأسلوب الحكمة في الدعوة الإسلامية.

٢. استجلاء معاني الحكمة كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٣. إيضاح مراتب الحكمة المتعددة وضوابط توظيفها في الدعوة إلى الله تعالى.

٤. إبراز النماذج التطبيقية لأسلوب الحكمة في سيرة الصحابة والسلف الصالح.

٥. الكشف عن الأثر العميق لأسلوب الحكمة في بناء العقيدة الإسلامية وتعزيزها.

خامساً: منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على جملة من المناهج العلمية المتكاملة، أبرزها:

المنهج الاستقرائي: من خلال تتبع آيات الحكمة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة واستقراء معانيها ودلالاتها.

المنهج التحليلي: عبر تحليل النصوص الشرعية وأقوال العلماء للوصول إلى المفهوم الجامع لأسلوب الحكمة.

المنهج التاريخي: من خلال استعراض التطبيقات العملية لأسلوب الحكمة في سيرة الصحابة والسلف الصالح واستخلاص الدروس منها.

المنهج الوصفي: في عرض المعلومات وتصنيفها وترتيبها ترتيباً منهجياً واضحاً.

سادساً: الدراسات السابقة:

تناول عدد من الباحثين موضوع الحكمة في الدعوة الإسلامية من زوايا متعددة، ومن أبرز هذه الدراسات:

١. "الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى" للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وهي رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تناولت مفهوم الحكمة وأساليبها في الدعوة.

٢. "مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة" للدكتور سعيد بن علي القحطاني، الذي درس مفهوم الحكمة من منظور الكتاب والسنة.

٣. "مفهوم الحكمة في الدعوة" للدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، الصادر عن وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، الذي أوضح أبعاد الحكمة في الخطاب الدعوي.

٤. "أسلوب الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله" هناء عباس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الرباط الوطني، السودان ٢٠١٧م.

٥. "الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى: بعض مواقف النبي ﷺ وصحبه الكرام"، وفاء علي حسين القحطاني، دراسة منشورة في مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

ما يميز هذا البحث عن سابقاته أنه يجمع بين الجانب النظري المتمثل في تأصيل مفهوم الحكمة قرآنياً وحديثياً، والجانب التطبيقي المتمثل في نماذج من سيرة الصحابة والسلف الصالح، مع التركيز على أثر ذلك كله في بناء العقيدة الإسلامية تحديداً.

سابعاً: خطة البحث:

جاء هذا البحث مقسماً إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة :وتشتمل على مشكلة البحث وأسئلته وأهدافه ومنهجيته والدراسات السابقة.

المبحث الأول: أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله، تعريفه ومفهومه وأهميته.

المبحث الثاني: أسلوب الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثالث: تطبيقات عملية لأسلوب الحكمة في سيرة الصحابة والتابعين وسلف الأمة.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، تعريفه، مفهومه، أهميته:

المطلب الأول: تعريف أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله، في اللغة والاصطلاح:

قبل الدخول في هذا الموضوع والغوص في معانيه ينبغي لي أولا الوقوف على تعريف المصطلحات (الأسلوب، الحكمة، والدعوة) في اللغة والاصطلاح لمعرفة المعاني التي يحتملها ويدل عليها.

أولا: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً:

لغة: وقد ورد الأسلوب في المعاجم اللغوية العربية، وقد جاء في لسان العرب "الأسلوب، ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، والأسلوب الطريق، ويجمع أساليب، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه، وإن أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً"[١].

اصطلاحاً: "الأسلوب بالضم الطريق والفن وهو على أسلوب من أساليب القوم على طريق من طرقهم"[٢].

وعرفه ابن خلدون بأنه: "المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه"[٣].

ثانيا: تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً:

لغة: قال ابن فارس: "حكم الحاء والكاف والميم أصل واحد؛ وهو المنع، وأول ذلك الحكم؛ وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها"، ثم قال: "والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكمت فلانًا تحكيمًا: منعتُه عما يريد"[٤].

وقال الأصمعي: "أصل الحكومة ردُّ الرجل عن الظلم؛ قال: ومنه سميت حكمة اللجام؛ لأنها تردُّ الدابة"[٥].

١- ابن منظور، محمد بن مكرم (٦٣٠–٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط: ١٩٩٢م، ٧: ٢٢٥.

٢- المناوي، محمد عبد الرؤوف (٩٥٢–١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ، ١: ٤١١.

٣- ابن خلدون، عبد الرحمن (٨٠٨هـ)، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص: ٥٧٠.

٤- ابن فارس، أحمد بن زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م، ٢: ٩١.

٥- ابن منظور، لسان العرب، ١٢: ١٤١، مادة (حكم).

وفي لسان العرب: "الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء، وبأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم"[١].

اصطلاحاً: ويراد بها وضع الشيء في موضعه[٢].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان"[٣].

وتطلق الحكمة عند الفقهاء فيقال: حكمة التشريع؛ أي علَّته ٤.

وتطلق أيضًا ويراد بها: "الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه"[٥].

ثالثاً: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً:

لغة: الدعوة مصدر للفعل الثلاثي دعا، تقول "دعا يدعو دعوةً ودعاءً"[٦] ولكلمة الدعوة معانٍ متعددة، منها:

١. الدعاء، وهو سؤال الله عز وجل، ومنه ما جاء في الحديث حينما سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن أول بدء أمره فقال: (دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام)، والمقصود بدعوة إبراهيم عليه السلام ما جاء على لسانه في قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾[٧].
٢. النداء، ومنه النداء للصلاة، ومنه ما جاء في الحديث: "من قال حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة"[٨].
٣. التسمية، يقال دعاه زيداً، أي سماه بهذا الاسم[٩].
٤. الدعاء إلى أي قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها، سواء كانت حقاً أم باطلاً، ومن ذلك تعريف الدعاة بأنهم "قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داعٍ"[١٠].

١– المصدر نفسه، ١٢: ١٤٠، مادة (حكم).

٢– أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١: ٣٩٣.

٣– ابن القيم، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، التفسير القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ٢٢٦–٢٢٧.

٤– سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، ط: ١، ١٤٠٢هـ، ص: ٩٧.

٥– المصدر السابق، ص: ٩٧.

٦– ابن منظور، لسان العرب، ٢: ٩٨٧.

٧– سورة البقرة، رقم الآية: ١٢٩.

٨– ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، رقم الحديث: ٦١٤، ٢: ٩٤، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، حديث صحيح.

٩– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط: ٢، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م، ١: ٢٨٦.

١٠– الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، ١٠: ١٢٨.

٥. الطلب، يقال دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء حثه على قصده، يقال: "دعاه إلى الصلاة ودعاه إلى القتال. ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه"[١].

اصطلاحاً: عرفها شيخ الاسلام ابن تيميه بقوله: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"[٢].

وعرفت بأنها: "الطلب بشدة وحثٍّ على الدخول في دين الإسلام، اعتقاداً وقولاً وعملاً، وظاهراً وباطنا"[٣]. أو هي: "قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله عليه الصلاة والسلام، والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً"[٤]. أو هي: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[٥].

المطلب الثاني: مفهوم وأهمية أسلوب الحكمة:

أولاً: مفهوم اسلوب الحكمة:

إنَّ منهج الدَّعوة ربَّانيٌّ، كلُّه من عند الله تعالى، وقد جاء مفصَّلاً في الكتاب والسنة، ولا مجال فيه لاجتهاد مجتهد أو رأي بشر.

أمَّا الوسائل والأساليب، فقد جاءت في صورة قواعد كلية وأسس عامة، لكي يتَّخذ المسلمون من الوسائل والأساليب، لتوضيح منهج الإسلام وقضاياه، بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان.

والمثال على ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٦].

فهذه الآية، توضح أنَّ من يسلك سبيل الدَّعوة إلى الله، فينبغي عليه أن يأخذ بالأساليب التالية:

الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالَّتي هي أحسن.

هذه الأساليب التي أشار إليها القرآن الكريم، إشارةً موجزةً دون تفصيل.

فيأتي العلماء ويوضحون مفهوم الحكمة، والفرق بينها وبين العلم، وما هي ضوابط الحكمة؟ وما هو الإطار الذي يتحرك فيه الدَّاعية بالحِكمة والفطانة وحسن الوعي؟ ومدى الحكمة في ترتيب أولويَّات موضوعات الدَّعوة ومنهجها[٧].

١– مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ١: ٢٨.

٢– ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٥: ١٥٧.

٣– حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، فقه الدعوة إلى الله، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٧هـ، ص: ١١.

٤– ابن سيدي بن الحبيب، محمد، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، ط: ٢، ص: ٢٧.

٥– البيانوني، محمد أبو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ، ص: ١٧.

٦– سورة النحل، رقم الآية: ١٢٥.

٧– مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة وطرقها، ص: ١٨٦.

فالحكمة إن رافقت الدعاة في دعوتهم فإنها تقوي الأمل واليقين، وتنهض بالمدعوين إلى حالة الشعور بالمسئولية والتكليف، وإذا تأكد فيهم هذا الشعور فسوف تتغير طباعهم وتعتدل مسالكهم ويصح توجيههم. فحق على الداعي إلى الله أن يعمل على إيقاظ هذا الشعور[١].

ذكر العلماء أن لمفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عدة مفاهيم، حيث جاء لفظ: الحكمة في كتاب الله تعالى في أكثر من تسعة عشر موضعًا، (انظر: سورة البقرة، آيات: ١٢٩، ١٥١، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٩، وآل عمران: ٤٨، ٨١، ١٦٤، والنساء: ٥٤، ١١٣، والمائدة: ١١٠، والنحل: ١٢٥، والإسراء: ٣٩، ولقمان: ١٢، والأحزاب: ٣٤، وص: ٢٠، والزخرف: ٦٣، والقمر: ٥، والجمعة: ٢)، وجاء لفظ الحكمة في السنة النبوية في عدة مواضع، واختلفوا على أقوال كثيرة، فقيل: الحكمة؛ النبوة، وقيل: القرآن والفقه به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله، وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينه، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة [٢].

فمفهوم الحكمة وضع الشيء في موضعه اللائق به بإحكام وإتقان وإصابة، ويزيد ذلك وضوحا وبيانا ما كان عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو الذي أعطاه ربه من الحكمة ما لم يعط أحدا من العالمين، فقد كان يضع العلم والتعليم والتربية في مواضعها، والموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، والقوة والغلظة والسيف في مواضعها، وهذا من أحكم الحكم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٣]، وهذا عين الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى[٤].

ثانياً: أهمية أسلوب الحكمة:

بسبب اختلاف وجهات النظر بين الناس، واختلاف معتقداتهم وأفكارهم يجب على الداعية تحري الحكمة في أقواله وأفعاله لجذبهم إليه، فإن موضوع الحكمة في الدعوة إلى الله جوهرٌ ثمينٌ في هذا الميدان، وعلى قدر الفقه فيه تتجاوب النفوس وتتفاعل؛ فكم ممن يحمل فكرًا نقيًّا سليمًا أضاعه في طرق ملتوية متشعبة، لم يتمكن فيها أن يجمع هذا الفكر ليوصله إلى مستمعيه، وعندما يرى الناس ذلك منه يسبق منهم إساءة الظن قبل إحسانه، فيتهمون هذا الفكر بالعجز والقصور، والحق أن العجز والقصور ليسا إلَّا في حامله فقط.

يظن كثير من الناس أن الحكمة لا تعدو كونها لينًا في القول ورفقًا في المعاملة وحلمًا عند الاستفزاز، وهذا تصور قاصر لا يستوعب

١– ينظر: ابن حميد، صالح بن عبد الله (١٤٢٢هـ)، مفهوم الحكمة في الدعوة، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط: ١، ص: ٤.

٢– ينظر: القحطاني، سعيد بن علي (١٤٢٣هـ)، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص: ٢٦.

٣– سورة التحريم، رقم الآية: ٩.

٤– ينظر: القحطاني، سعيد بن علي، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص: ٥١٧.

الأبعاد الحقيقية لهذا المفهوم الشامل؛ إذ إن الحكمة في حقيقتها منهج متكامل متعدد المستويات يتشكل وفق طبيعة المخاطَب وحاله وموقفه من الحق، فمن مستوياتها أن تكون باللين والرفق مع البيان العلمي الدقيق المسنود بالأدلة الشرعية، وهذا المستوى يُوظَّف مع أصحاب العقول المتفتحة الذين يقبلون الحق متى تبيّن لهم دون عناد أو مكابرة، ومنها أن تكون بالموعظة الحسنة القائمة على الترغيب في الحق والتحذير من الباطل، وهذا يُلجأ إليه مع من يُقرّ بالحق في قرارة نفسه غير أن الغفلة والشهوات والأهواء تحول بينه وبين اتباعه، ومنها أن تكون بالجدال بالتي هي أحسن، مع حسن الخلق ولطف الأسلوب والاستناد إلى الحجج العقلية والنقلية في إثبات الحق وإبطال الشبهة، لا بقصد المغالبة والظهور، بل بقصد الهداية وكشف الحق، وهذا يُستعمل مع كل جاحد معاند، ومنها أن تكون بالقوة المشروعة حين تنسد أمام الداعية سائر السبل، كالكلام الحازم والتأديب وإقامة الحدود لمن يملك سلطة مشروعة، أو الجهاد في سبيل الله تحت لواء ولي الأمر وفق الضوابط التي دلّ عليها الكتاب والسنة، وهذا يكون في مواجهة من طغى وظلم وأبى الرجوع إلى الحق وسعى إلى صده وإطفائه[١].

وما أحسن ما قاله الشاعر:

دعا المصطفى دهراً بمكةَ لم يُجب ... وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

فلما دعا والسيفُ صلتٌ بِكفِّهِ ... له أسلموا واستسلموا وأنابوا

ذكر سماحة العلامة عبد العزيز بن باز –رحمه الله–أن هذا الشعر يُروى لحسان بن ثابت رضي الله عنه[٢].

وصدق هذا القائل، فقد قال قولاً صادقاً مطابقاً للحق [٣]، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن من الشِّعرِ حكمة"[٤].

الحكمة تجعل الداعي إلى اللَّه تعالى يُقَدِّر الأمور قدرها، فلا يزهد في الدنيا والناس بحاجة إلى النشاط والجد والعمل، ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء، وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم الوضوء والصلاة[٥] .

"يقول الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٦]، إذا فالحكمة منة، ونعمة عظيمة من الله تعالى يمتن بها على من يشاء من عباده، وهي من الأشياء التي يمكن اكتسابها بالمراس والمران...

١– انظر: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى اللَّه تعالى في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ص: ٥–٦.

٢– ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى العلامة ابن باز، ٣: ١٨٤، ٢٠٤.

٣– انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٠: ٥٤٠، ٦: ٥٣١.

٤– المصدر نفسه، ١٠: ٥٤٠، حديث رقم: ٦١٤٥.

٥– القحطاني، سعيد بن علي، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله، ص: ٦—٧.

٦– سورة البقرة، رقم الآية: ٢٦٩.

ويقول ابن سعدي رحمه الله . في تفسير : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[١] أي كل أحد على حسب حاله وفهمه، وقبوله وانقياده، ومن الحكمة، الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، و إلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر، والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إذا فالحكمة في الدعوة أمر مطلوب ، والداعي إلى الله مأمور بتوخي الحكمة حين دعوته، وحينما طبق الصحابة رضوان الله عليهم الحكمة في دعوتهم، وساروا على هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام ونهجه دخل الناس في الإسلام أفواجا، وانتشر الإسلام في بقاع الأرض، لكن لا يُفهم من الحكمة في الدعوة أنها تعني الرفق، والحلم مع المدعو فحسب، بل إن مراتب الحكمة تتجاوز ذلك كثيراً، فمن الحكمة أن يكون الداعي رفيقا لينا مع المدعوين كما قال تعالى عن نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢]، وقال سبحانه مخاطباً موسى وهارون عليه السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[٣][٤].

المبحث الثاني : أسلوب الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

المطلب الأول: أسلوب الحكمة في القرآن الكريم:

أولاً: معاني الحكمة في القرآن الكريم:

وردت الحكمة في القرآن الكريم بمعان كثيرة زادت على عشرين معنى[٥]، يقول الفيروز آبادي : "وأما الحكمة فمن الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وقد وردت في القرآن الكريم على ستة أوجه :

١. بمعنى النبوة والرسالة؛ ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٦]، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾[٧]، ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٨]؛ أي النبوة .

١– سورة النحل، رقم الآية: ١٢٥.

٢– سورة آل عمران، رقم الآية: ١٥٩.

٣– سورة طه، رقم الآية: ٤٣–٤٤.

٤– الشحود، علي بن نايف، المفصل في فقه الدعوة إلى الله، ص: ٢٩١.

٥– انظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٢: ٣٢٠؛ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، بصائر ذوي التمييز، ٢: ٤٨٨–٤٩١

٦– سورة آل عمران، رقم الآية: ٤٨.

٧– سورة ص، الآية: ٢٠.

٨– سورة البقرة، رقم الآية: ٢٥١.

٢. بمعنى القرآن والتفسير والتأويل، وإصابة القول فيه؛ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [١].

٣. آيات القرآن الكريم وأوامره ونواهيه؛ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [٢].

٤. بمعنى الوعظ والتذكير؛ ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [٣]؛ أي الموعظة الحسنة، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [٤]، وفيها الحكم لا الحكمة.

٥. بمعنى فهم الدقائق والفقه في الدين؛ ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [٥]، ويلاحظ أن الآية فيه الحكم لا الحكمة؛ أي فهم الأحكام.

٦. بمعنى حجة العقل على وفق أحكام الشريعة؛ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [٦]أي قولاً يوافق العقل والشرع [٧].

ثانياً: تفسير العلماء لهذه المعان:

بالتأمل في هذه المعاني يمكن إدخال بعضها في بعض، ولذلك نجد الرازي رحمه الله يقول: "يروى عن مقاتل أنه قال: تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: مواعظ القرآن؛ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [٨]، ومثلها في آل عمران [٩].

وثانيها: الحكمة بمعنى الفهم والعلم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [١٠]. وفي لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [١١]؛ يعني الفهم والعلم. وفي الأنعام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [١٢].

١- سورة البقرة، رقم الآية: ٢٦٩.

٢- سورة النحل، رقم الآية: ١٢٥.

٣- سورة النساء، رقم الآية: ٥٤.

٤- سورة الأنعام، رقم الآية: ٨٩.

٥- سورة مريم، رقم الآية: ١٢.

٦- سورة لقمان، رقم الآية: ١٢.

٧- الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ٢: ٤٩٠–٤٩١.

٨- سورة البقرة، رقم الآية: ٢٣١.

٩- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، ٧: ٧٣.

١٠- سورة مريم، رقم الآية: ١٢.

١١- سورة لقمان، رقم الآية: ١٢.

١٢- سورة الانعام، رقم الآية: ٨٩.

وثالثها: الحكمة بمعنى النبوة في النســاء: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [١]؛ يعني النبوة وفي (ص): ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [٢]. يعني النبوة. وفي البقرة: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣].

ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسـرار في النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾[٤]. وفي هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٥].

ثم يعقب الرازي رحمه الله تعالى على هذه المعاني بقوله: "وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم" وهو كما قال؛ فإن هذه المعاني وإن تعددت فهي لا تختلف؛ بل هي من صور الحكمة، وعلى هذا المعنى تعول كثير من كتب التفاسير؛ فابن كثير –رحمه الله تعالى – يفسِّـر الحكمة في موضع نقلاً عن ابن عباس فيقول: "المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله" [٦]، وهل هذا التعريف إلا عين العلم.

ثم يعرِّف الحكمة في موضـع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٧]؛ يعني السـنة. قاله الحسـن وقتادة ومقاتل بن حيان، وأبو مالك وغيرهم، وقيل: "الفهم والدين"، ثم قال بعد ذلك: "ولا منافاة"[٨]، ثم يعرفها في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٩]؛ أي النبوة[١٠].

ولكن ابن القيم رحمه الله تعالى يعطي معنى أدق تقعيدًا وأكثر وضوحًا لمعنى الحكمة حينما ترد في كتاب الله، فيقول: "والحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة ومقترنة بالكتاب؛ فالمفردة فسِّرت بالنبوة، وفسِّرت بعلم القرآن.. وأما الحكمة المقرونة بالكتاب فهي السنة. كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة، وقيل هي القضاء بالوحي، وتفسيرها بالسنة أعم وأشهر"[١١].

١– سورة النساء، رقم الآية: ٥٤.

٢– سورة ص، رقم الآية: ٢٠.

٣– سورة البقرة، رقم الآية: ٢٥١.

٤– سورة النحل، رقم الآية: ١٢٥.

٥– الرازي، محمد، (د. ت)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ٧: ٦٧.

٦– ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (د. ت)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: مصطفى السيد محمد وآخرون، (د. ط)، د. م: مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ، ١: ٣٢٢.

٧– سورة البقرة، رقم الآية: ١٥١.

٨– ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ١: ١٨٤.

٩– سورة البقرة، رقم الآية: ٢٥١.

١٠– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١: ٣٠٣.

١١– ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التفسير القيم، ص: ٢٢٦–٢٢٧.

فهذه نماذج من معاني الحكمة التي وردت في القرآن وفسرها به بعض المفسرين، ونجد أنهم وإن اختلفوا في بعض منها، فإنهم يتفقون على أن العلم والفهم المنطلق من القرآن هو الحكمة؛ سواء أكان في تفسير القرآن الكريم، أو في معرفة السنة، أو في المواعظ والحجج العقلية، أو عجائب الأسرار. ولنعطي مثالاً للحكمة في نزول القرآن الكريم:

فقد نزل القرآن الكريم متدرجاً في ثلاث وعشرين سنة، ولما اعترض الكافرون على ذلك بيّن الله الحكمة من نزوله متدرجاً فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[١]؛ وروى الشاطبي رحمه الله في الموافقات : "أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمهما الله قال يوماً لأبيه عمر : مالك لا تنفذ الأمور؟ فو الله ما أبالي أن القدور غلت بي وبك في الحق؛ قال عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمهما في الثالثة؛ وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه جملة ويكون من ذا فتنة"[٢].

المطلب الثاني: إسلوب الحكمة في السنة النبوية:

أولاً: معان الحكمة في السنة النبوية:

أما في السنة النبوية فقد وردت الحكمة على معان متعددة، منها:

١– عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ضمَّني النبي عليه الصلاة والسلام إلى صدره، وقال: «أللهم علّمه الحكمة»، قال البخاري: الحكمة الإصابة في غير النبوة[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: "واختلف في المراد بالحكمة هنا؛ فقيل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرَّق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب بالصواب، وقيل: غير ذلك"[٤].

٢– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان، والحكمة يمانية»[٥].

ونقل ابن حجر في الفتح عن ابن الصلاح: "إن المراد بالحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله"[٦].

١– سورة الفرقان، رقم الآية: ٣٢.

٢– الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (١٤١٧هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، الرياض: دار ابن عفان، ١٤٨/٢.

٣– البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الفضائل، رقم الحديث: ٣٧٥٦، ٥: ٢٧.

٤– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٧: ١٠٠.

٥– البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم الحديث: ٣٤٩٩، ٤: ١٧٩.

٦– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦: ٥٣٢.

٣– وعن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلّط على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها»[١].

فالحكمة المراد بها هنا القرآن، وقيل: المراد بالحكمة كل ما مَنَعَ من الجهل وزَجر عن القبيح [٢].

٤– عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «إن من الشعر حكمة»[٣].

يقول ابن حجر – رحمه الله تعالى–: "إن من الشعر حكمة؛ أي قولاً صادقًا مطابقًا للحق، وقيل: أصل الحكمة المنع؛ فالمعنى: إن من الشعر كلامًا نافعًا يمنع من السَّفَه"[٤].

٥– عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدِّث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه... الحديث»[٥].

والمعنى: أن الطِّست جعل فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة؛ فسمي حكمة وإيمانًا مجازًا، أو مثلاً له؛ بناءً على جواز تمثيل المعاني، كما يمثَّلُ الموت كبشًا؛ قال النووي رحمه الله في تفسير الحكمة أقوالًا كثيرة مضطربة صَفَا لنا منها: أن الحكمة العلم المشتمل على المعروف بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك[٦]. "وقد تطلق الحكمة على القرآن، وهو مشتمل على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تطلق على العلم فقط وعلى المعرفة ونحو ذلك"[٧].

هذه جملة من معاني الحكمة كما وردت في السنة النبوية، وكما شرحها كبار علماء الحديث، نقلتها لأوضح معنى الحكمة في الحديث النبوي.

ثانياً: أمثلة من السنة النبوية على الحكمة:

ولنعطي مثالين للحكمة في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام للمقارنة بينهما:

١– البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث: ٧٣، ١: ٢٥.

٢– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١: ١٦٧.

٣– البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، رقم الحديث ٦١٤٥، ٨: ٣٤.

٤– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٠: ٥٤٠.

٥– البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، رقم الحديث ٣٤٩، ١: ٧٨.

٦– ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٢: ١٠٦١.

٧– المصدر نفسه، ١: ٤٦١.

١– قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أني أصوم وأَسْرُدُ، وأصلي الليل؛ فإما أرسل إليَّ وإما لقيته. فقال: «ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلي الليل، فلا تفعل؛ فإنَّ لعينك حظًّا، ولنفسك حظًّا، ولأهلك حظًّا، فصم وأفطر وصلِّ ونم ... الحديث»[١].

يحفظ كثير من الناس هذا الحديث ويتقنون الاستشهاد به في موقعه وغير موقعه، غير أنهم يغفلون عن مقدمته وسياقه الذي قيل فيه، بل يغفلون أيضاً عن أحاديث كثيرة تحدثت عن الموضوع ذاته وهو الترغيب في الإكثار من الطاعات، فإذا رأوا رجلاً يكثر من الصيام أو قيام الليل أو سائر الطاعات بادروا إلى نصحه مستندين في ذلك إلى هذا الحديث، وهو استدلال تنقصه الحكمة وتقدير الموقف ومعرفة طبيعة المدعو؛ إذ إن النبي ﷺ لم يقل هذا الكلام لكل أحد، بل قاله لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه تحديداً لأنه كان يسرد الصوم ويواصل قيام الليل حتى أضرّ بنفسه، أما غيره ممن يقصّر في الطاعات فكان النبي ﷺ يحثه ويرغبه في الإكثار منها[٢].

٢– فعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام طَرَقَه وفاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام ليلةً فقال: « ألا تصليان؟! فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إليَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذَه وهو يقول: "وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً»[٣].

المبحث الثالث: تطبيقات عملية لأسلوب الحكمة في الدعوة الى الله في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضي الله عنهم وسلف الأمة رحمه الله:

المطلب الأول: تطبيقات عملية لأسلوب الحكمة في الدعوة الى الله في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :

إن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تمثل النموذج الأكمل في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد جمع بين البيان العقلي والإقناع القلبي، وبين الرحمة والرفق في التعامل مع المخالفين، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ثمرة هذه الدعوة المباركة، إذ عايشوا الرسول الكريم وتعلموا منه مقاصد الدعوة ووسائلها، ثم نقلوا ذلك إلى من بعدهم من التابعين، فكانوا خير من جسّد الحكمة في الدعوة قولاً وعملاً.

١– مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الصيام، رقم الحديث ١٨٦، ٢: ٨١٤.

٢– الزيد، زيد بن عبد الكريم، الحكمة في الدعوة إلى الله: تعريف وتطبيق، موقع دار الإسلام، https://islamhouse.com/read/ar/-٤٠٧٠٩٦.

٣– البخاري، صحيح البخاري، كتاب التهجد، رقم الحديث ١١٢٧، ٢: ٤٢.

وقد حفظت لنا كتب السيرة والتاريخ نماذج عملية تبين كيف وظّف الصحابة الحكمة في دعوة الناس، سواء في مخاطبة أهل الأديان الأخرى أو في معالجة قضايا المجتمع الإسلامي الناشئ، ومن أبرز هذه التطبيقات:

أولاً: موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي بال في المسجد:

لما دخل أعرابي المسجد النبوي وبال في ناحية منه، ثار الصحابة رضي الله عنهم غضباً وهمّوا به، فنهاهم النبي ﷺ، إذ جاء في ذلك: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»[١]، فقبل الأعرابي هذا التوجيه بقلب منشرح ونفس مطمئنة. ويتجلى في هذا الموقف أن النبي ﷺ راعى مقصداً عقدياً أسمى، وهو تعظيم بيوت الله في قلوب الناشئين على الإسلام، إذ أدرك أن مواجهة الأعرابي بالغضب ستنفّره وتبعده، فآثر الحكمة في التعليم على الغلظة في التأديب. وقد أشار الإمام القرطبي رحمه الله إلى أن الداعي الحكيم هو الذي يُنزل الناس منازلهم فيخاطب الجاهل بغير ما يخاطب به العالم، ولا يُعنّف على ما صدر منه جهلاً[٢]، وهو بعينه ما جسّده النبي ﷺ في هذا الموقف، فكانت النتيجة أن ترسّخت في نفس الأعرابي حرمة المسجد وعظمته من خلال التوجيه الرحيم لا من خلال القسوة والزجر.

ثانياً: موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي استأذنه في الزنا:

مما ورد في ذلك في كتب السنة: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا»، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ»، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ

١– مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، رقم الحديث ٢٨٥، ١: ٢٣٦.

٢– انظر: القرطبي، محمد بن أحمد (٦٠٠–٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ١٠: ٢٠٠.

الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[١]، وهذا الموقف يكشف عن منهج نبوي فريد في بناء العقيدة الأخلاقية، إذ لم يكتفِ النبي ﷺ بالنهي المجرد الذي لا يُثمر في النفوس الغافلة، بل لجأ إلى إيقاظ الفطرة السليمة في الشاب من خلال القياس الوجداني المتدرج، وهو ما أشار إليه العلماء بأسلوب القرآن في تحريم الزنا يخاطب العقل والوجدان معاً[٢]، وعلى هذا المنهج ذاته سار النبي ﷺ حين استثمر ما في فطرة الشاب من الغيرة والمحبة لذويه، فأوصله إلى القناعة الراسخة بحرمة هذه الفاحشة من الداخل لا بالإلزام من الخارج، فكان الأثر عميقاً وراسخاً.

المطلب الثاني: تطبيقات عملية لأسلوب الحكمة في الدعوة الى الله في سيرة الصحابة رضي الله عنهم

أولاً: موقف مصعب بن عمير رضي الله عنه في دعوة سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهم:

لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم مصعبَ بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة معلماً ومرشداً، كان قد اختاره لما عُرف عنه من رجاحة العقل وحسن الخلق وسعة العلم بالقرآن الكريم، فنزل مصعب ضيفاً على أسعد بن زرارة رضي الله عنه، وأخذ يجوب أحياء المدينة داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فاستجاب له عدد من أهلها مما أثار قلق زعماء القبائل، ولا سيما سعد بن معاذ سيد الأوس، الذي أرسل ابن عمه أسيد بن حضير لطرد مصعباً، فأقبل أسيد شاهراً رمحه متجهماً وجهه حتى وقف عليهما وصاح: "ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟" فنظر مصعب إليه نظرة المتأمل المدرك، فرأى فيه عقلاً راجحاً وفطرة سليمة تحتاج إلى من يوقظها لا إلى من يصادمها، فلم يقابل حدّته بحدة، بل رفع إليه وجهه بسكينة واطمئنان وقال: "أوَتجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره" فوجد أسيد في هذه الدعوة الهادئة منطقاً لا يمكن ردّه، فغرز رمحه في الأرض وجلس، فتلا عليه مصعب آيات من القرآن الكريم وعرض عليه الإسلام، فما كاد يفرغ حتى أشرق وجه أسيد وتغيرت ملامحه وأسلم من فوره، ثم عاد أسيد إلى سعد بن معاذ فأخبره، فجاء سعد بالطريقة ذاتها إلا أنه جلس واستمع، فأسلم هو الآخر في ذلك المجلس، وما إن قام حتى توجّه إلى قومه بني عبد الأشهل قائلاً: "إن كلامكم عليّ حرام رجالاً ونساءً حتى تؤمنوا بالله ورسوله" فأسلم الحي بأسره في يوم واحد، وكانت من أوائل دور الأنصار إسلاماً، ويتجلى في هذا الموقف أن مصعباً رضي الله عنه جسّد الحكمة الدعوية في أرقى صورها، إذ جمع بين ضبط النفس وتهيئة المخاطب نفسياً واستهداف المؤثرين في قومهم، فأسفرت دعوته عن بناء عقدي راسخ قائم

١– أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، (٢٠٠١م)، رقم الحديث ٢٢٢١١، ٣٦: ٥٤٥. إسناده صحيح كما نص عليه عدد من أهل العلم.

٢– ابن عاشور، محمد الطاهر (١٢٩٦–١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ١٥: ٨٢ .

على القناعة والاختيار لا على الإكراه، مما يدل دلالةً قاطعةً على أن الحكمة في الدعوة ليست ترفاً أسلوبياً بل هي شرط أساسي لنجاح الدعوة وترسيخ العقيدة في النفوس[١].

ثانيا: خالد بن الوليد رضي الله عنه في موقعة اليرموك:

كانت موقعة اليرموك –كما نعرف جميعًا– بقيادة خالد بن الوليد، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما الجيوش مصطفة على الناحيتن، جيش الرومان، وأمامه جيش المسلمين، تقول الرواية: وخرج (جرجه) وهو أحد الأمراء الرومان الكبار من الصف –أي من صف المشركين في ميدان المعركة– واستدعى خالد بن الوليد، وكان من الممكن أن يقول سيدنا خالد، وهو قائد الجيش إن هذه مؤامرة أو مكيدة تدبر له، ويراد منها قتله، ولكنه رضي الله عنه ما كان يتردد على الإطلاق إذا طلب أحد لقاءه أو منازلته في ميدان الحرب، فجاء اليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، وقد أمن كل منهما صاحبه، فقال جرجه: يا خالد، أخبرني فاصدقنى، ولا تكذبني، فان الحر لا يكذب، ولا تخادعني، فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء، فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟ سؤال في منتهى الغرابة يقوله هذا القائد الروماني في تعجب شديد، وانتصارات سيدنا خالد رضي الله عنه بالفعل كثيرة جدًا، سواء في بلاد فارس، أو بلاد الروم، وبأعداد، وعُدد قليلة على أعداد من المشركين، وعُدد هائلة وضخمة. هذا القائد الروماني في استغرابه الشديد يستحلف خالدا أن يصدقه القول، قال خالد: لا. قال: فبم سميت سيف الله؟ ورد عليه سيدنا خالد ردًا في منتهى البراعة، وفي منتهى الحكمة، ومنتهى الفقه لقضية الدعوة فقد أحس أن جرجه الروماني هذا يتكلم بلسان غريب عن قومه، وفي قلبه نوع من الميل إلى الإسلام، في قلبه نوع من الشك فيما عليه الرومان من دين، نوع من التفاؤل، نوع من الطموح، والجيوش مصطفة على الناحيتين، جيش الرومان وأمامه جيش المسلمين، فبماذا رد سيدنا خالد رضي الله عنه؟ قال رضي الله عنه: إن الله بعث فينا نبيه، فدعانا، فنفرنا منه، ونأينا عنه جميعًا، ثم إن بعضنا صدقه، وتابعه، وبعضنا كذبه، وباعده، فكنت فيمن كذبه، وباعده. لماذا يقول سيدنا خالد هذا الكلام؟ ويذكر أنه كان ممن كذب وباعد رسول الله في بداية الأمر؟ إنه يريد أن يقول لهذا القائد إني كنت مثلك أحارب المسلمين، وأقاتلهم، ولكن هداني الله إلى الإسلام، وربما تكون أنت كذلك، ويكمل خالد رضي الله عنه يقول: ثم إن الله أخذ بقلوبنا، ونواصينا، فهدانا به، وبايعناه، فقال لي عليه الصلاة والسلام: "أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ"، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله، بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين [٢].

---

١ – ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري (المتوفى: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، ٢: ٢٨٣-٢٨٥.

٢– ينظر: الشحود، علي بن نايف، المفصل في فقه الدعوة إلى الله، ٢: ١٢٦، موقع طريق الإسلام: http://iswy.co/e١٢afj.

المطلب الثالث: سيرة السلف الصالح رحمهم الله

أولاً: من مواقف سعيد بن المسيب[١] رضي الله عنه:

لسعيد بن المسيب مواقف حكيمة، تدل على علمه وحكمته ورغبته فيما عند الله تعالى، ومن هذه المواقف الحكيمة التي صدع فيها بالحق في دعوته إلى الله تعالى، ولم تأخذه في الله لومة لائم ما فعله مع الحجاج بن يوسف الثقفي عندما أساء صلاته، صلى الحجاج مرة بجنب سعيد بن المسيب رضي الله عنه – قبل أن يلي شيئاً من أمور المسلمين – فجعل يرفع قبل الإمام، ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد رضي الله عنه بطرف ردائه، وبقي يقول الذكر بعد الصلاة، والحجاج ما زال ينازعه رداءه حتى قضى سعيد رضي الله عنه ذكره، ثم أقبل عليه يؤنبه ويؤدبه بالكلام، فلم يقل له الحجاج شيئاً حتى صار نائب على الحجاز، وعندما أتي المدينة نائباً عليها، فلما دخل المسجد قصد مجلس سعيد بن المسيب رضي الله عنه حتى جلس بين يديه، فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ فضرب سعيد رضي الله عنه صدره بيده وقال: نعم، قال: فجزاك الله من معلم و مؤدب خيراً، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى[٢].

قيل لسعيد بن المسيب رضي الله عنه: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فصلي صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفا من حصي فحصبته بها. قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة[٣].

وهذا من أعظم المواقف الحكيمة السعيد بن المسيب رضي الله عنه، فإن الحكمة وضع كل شيء في موضعه، وقد تنفع الشدة والقوة إذا كانت الحكمة تقتضي ذلك، فسعيد رأى أن من الحكمة استخدام هذا الأسلوب مع الحجاج، ليحسن صلاته، فنفع الله بذلك الحجاج كما ذكر هو عن نفسه، وأنه ما زال يحسن الصلاة بعد ذلك، فرحم الله سعيد بن المسيب، وجزاه خير الجزاء.

ثانياً: من مواقف الحسن البصري[٤] رحمه الله تعالى:

١– سعيد بن المسيب، هو سيد التابعين على الإطلاق في زمانه، وعالم أهل المدينة، ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل لأربع مضين منها، وتوفي سنة ٩٤ هـ ، وله٧٥ سنة رضي الله عنه. انظر: الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ٤: ٢١٧–٢٦٤؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ٩: ٩٩.

٢– انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٩: ١١٩؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤: ٢٢٦.

٣– انظر: ابن سعد، ١٩٩٠م، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٥: ١٢٩؛ وأبو نعيم، حلية الأولياء، ٢: ١٦٥؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤: ٢٢٦.

٤– هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد مولى الأنصار، وأمه خيرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين، وابو الحسن يسار من سبي ميسان –وهي

للحسن البصري رضي الله عنه مواقف حكيمة في دعوته إلى الله ومنها موقفه مع الحجاج بن يوسف الثقفي من حكمة الحسن أنه لا يرى الخروج على الأئمة العصاة من المسلمين، فقد جاء جماعة من المسلمين إلى الحسن البصري، يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام،... وفعل ما فعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج فقتلوا جميعاً[١]، ولهذا كان الحسن يقول لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط[٢].

ومع ذلك كله فقد أراد الحجاج أن يقتل الحسن البصري مراراً، ولكن الله عصمه منه بعث الحجاج إلى الحسن مرة – وقد همّ به – فجاء الحسن إليه، فلما قام بين يديه قال: يا حجاج، كم بينك وبين آدم من أب؟ قال: كثير. قال: فأين هم؟ قال: ماتوا. فنكس الحجاج رأسه، وخرج الحسن[٣].

وهذه من حكمة الحسن في دعوته الى الله، فان الخروج على الائمة المسلمين – ولو كانوا فساقا–بسبب شرا كبيرا، وفتنة عظيمة، وازهاقا للأرواح، وفسادا كبيرا، فسد الحسن الباب امام هذه الفتن.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات، فما تقدم من العرض السابق هو رؤيتي حول موضوع (أسلوب الحكمة وأثره في بناء العقيدة الإسلامية)، وفي ختامه لابد من الإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات وهي على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

١. شمولية مفهوم الحكمة: أثبتت الدراسة أن الحكمة ليست مجرد اللين والرفق، بل هي "وضع الشيء في موضعه اللائق"، وهذا يتضمن اللين في موضعه، والحزم في موضعه، والجدال بالتي هي أحسن في موضعه.

بين البصرة وواسط –سكن المدينة، وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي الحسن سنة ١١٠هـ وكان عمره ٨٨ سنة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤: ٥٦٣–٥٨٧؛ وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، ١٣٢٦هـ، تهذيب التهذيب، ط: ١، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ٢: ٢٣١.

١– انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧: ١٦٣–١٦٥؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ٩: ١٣٥.

٢– انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧: ١٦٤.

٣– انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٩: ١٣٥.

٢. التعدد الدلالي في القرآن الكريم: خلص البحث إلى أن لفظ "الحكمة" في القرآن الكريم جاء بمعانٍ غنية ومتنوعة، شملت (النبوة، السنة النبوية، الفقه في الدين، القرآن وتفسيره، والموعظة)، وكلها تصب في دائرة العلم النافع والعمل الصالح.

٣. المنهج النبوي المتكامل: بيّنت الدراسة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان القدوة الأسمى في تطبيق الحكمة؛ حيث راعى أحوال المدعوين النفسية والاجتماعية، فكان يغير أسلوبه بين الترغيب والترهيب، وبين التعليم المباشر والتوجيه غير المباشر، مما أدى إلى ترسيخ العقيدة في نفوس الصحابة.

٤. الأثر العقدي للحكمة: كشف البحث أن اتباع أسلوب الحكمة يؤدي إلى بناء عقيدة متينة قائمة على الاقتناع العقلي والاطمئنان القلبي، ويقلل من نسب النفور أو الارتداد عن الدين الناتجة عن الأساليب الدعوية الخاطئة.

٥. تطبيقات السلف: أظهرت نماذج الصحابة ﴿كخالد بن الوليد) والتابعين ﴿كالحسن البصري وسعيد بن المسيب) أن الحكمة كانت سلاحهم الفعال في المواقف الصعبة، سواء في حوار المخالفين أو في نصيحة الحكام، مما حفظ بيضة الإسلام ووحدة الأمة.

ثانياً: التوصيات:

١. تطوير الخطاب الدعوي: توصي الدراسة بإعداد دليل منهجي موحّد يتضمن معايير واضحة لتطبيق فقه الحكمة في الخطاب الدعوي، يُحدَّد فيه ترتيب قضايا العقيدة وفق مبدأ الأهم فالأهم، مع وضع مؤشرات قابلة للقياس لتقييم مدى التزام الدعاة بهذا المنهج في خطبهم ودروسهم ومحاضراتهم.

٢. التدريب الميداني: توصي الدراسة بإطلاق برنامج تدريبي سنوي مدته لا تقل عن مئة ساعة تدريبية –٨ إلى ٩ ساعات شهريا–، يُقسَّم إلى وحدات متخصصة في مهارات الحوار والرد على الشبهات المعاصرة، على أن يُختتم كل دورة بتقييم عملي ميداني يُقيس قدرة المتدرب على توظيف الدليل الشرعي مقروناً بالبرهان العقلي في مواقف محاكاة واقعية.

٣. المراكز الحوارية: توصي الدراسة بإنشاء مركز متخصص في كل جامعة إسلامية كبرى، يضم فريقاً بحثياً من المتخصصين في العقيدة والفلسفة والدراسات المقارنة، مع تحديد برنامج سنوي لعقد ملتقيات حوارية مع ممثلي الأديان والحضارات، وقياس أثرها بتقارير دورية شفافة.

٤. المناهج التعليمية: توصي الدراسة بإدراج مقرر مستقل بعنوان "أساليب الدعوة والحكمة" ضمن مناهج التعليم الديني في المرحلتين الثانوية والجامعية، يتضمن وحدات تطبيقية في فن المناظرة والحوار البناء، مع تخصيص نسبة لا تقل عن ثلاثين بالمئة من وقت المقرر للتطبيق العملي داخل الفصل.

٥. استثمار وسائل التواصل: توصي الدراسة بتأسيس فريق إعلامي متخصص في كل مؤسسة دعوية، مهمته إنتاج محتوى رقمي أسبوعي موجّه لفئات عمرية محددة، يراعي خصائص كل منصة رقمية وطبيعة جمهورها، مع قياس معدلات التفاعل والأثر شهرياً لتعديل المحتوى وفق نتائج التقييم.

٦. الإخلاص والمراقبة: توصي الدراسة بأن تُدرَج معايير أخلاقية صريحة ضمن لوائح المؤسسات الدعوية، تُلزم الداعية بالإفصاح عن أي تعارض بين مصالحه الشخصية أو السياسية وبين رسالته الدعوية، مع تفعيل آلية مراجعة دورية من قِبَل لجان شرعية مستقلة تتحقق من سلامة التوجه الدعوي وانضباطه بضوابط الحكمة القرآنية.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، *التفسير القيم*، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت).
٢. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، *مجموع فتاوى ابن باز*، الرياض، (د. ت).
٣. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، *تهذيب التهذيب*، ط: ١، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، (١٣٢٦هـ).
٤. ابن حنبل، أحمد، *مسند الإمام أحمد*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ).
٥. ابن خلدون، عبد الرحمن، *المقدمة*، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
٦. ابن سعد، محمد بن سعد، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٩٠م).
٧. ابن عاشور، محمد الطاهر، *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر، (١٩٨٤م).
٨. ابن فارس، أحمد، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، (٢٠٠٢م).
٩. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، *البداية والنهاية*، تحقيق: علي شيري، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤٠٨هـ).
١٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير ابن كثير*، بيروت: مؤسسة قرطبة، (د. ت).
١١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، بيروت: مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ، (د. ت).
١٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ط: ١، بيروت: دار صادر، (١٩٩٢م).
١٣. ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، (١٤١١هـ).
١٤. أبو حبيب، سعدي، *القاموس الفقهي*، دمشق: دار الفكر، (١٤٠٢هـ).

١٥. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، ط: ١، بيروت: دار الفكر، (١٤٢٠هـ).

١٦. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، القاهرة: دار السعادة، (١٣٩٤هـ).

١٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، إسطنبول: المكتبة الإسلامية، (١٩٨١م).

١٨. البيانوني، محمد أبو الفتح، *المدخل إلى علم الدعوة*، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ).

١٩. جامعة المدينة العالمية، *أصول الدعوة وطرقها*، ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، (د. ت).

٢٠. حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، *فقه الدعوة إلى الله*، دمشق: دار القلم، (١٤١٧هـ).

٢١. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *سير أعلام النبلاء*، ط: ١، القاهرة: دار الحديث، (١٤٢٧هـ).

٢٢. الرازي، محمد بن عمر، *مفاتيح الغيب*، بيروت: دار الفكر، (١٩٨١م).

٢٣. الزبيدي، محمد مرتضى، *تاج العروس من جواهر القاموس*، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د. ت).

٢٤. الزيد، زيد بن عبد الكريم، *الحكمة في الدعوة إلى الله: تعريف وتطبيق*، موقع دار الإسلام، https://islamhouse.com/read/ar/-٤٠٧٠٩٦

٢٥. زيدان، عبد الكريم، *أصول الدعوة*، بيروت: مؤسسة الرسالة، (٢٠٠١م).

٢٦. السرخسي، محمد بن أحمد، *المبسوط*، بيروت: دار المعرفة، (د. ت).

٢٧. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، الرياض: دار ابن عفان، (١٤١٧هـ).

٢٨. الشافعي، محمد بن إدريس، *الأم*، بيروت: دار المعرفة، (د. ت).

٢٩. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، *بصائر ذوي التمييز*، بيروت: المكتبة العلمية، (٢٠٠٢م).

٣٠. القحطاني، سعيد بن علي، *الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى*، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، (١٤٢٣هـ).

٣١. القحطاني، سعيد بن علي، *مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى*، الرياض: مطبعة سفير، (١٤٢٢هـ).

٣٢. القرطبي، محمد بن أحمد، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

٣٣. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الوسيط*، القاهرة: الهيئة العامة، (١٩٧٢م).

٣٤. مسلم بن الحجاج النيسابوري، *صحيح مسلم*، بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت).

٣٥. المناوي، محمد عبد الرؤوف، *التوقيف على مهمات التعاريف*، بيروت: دار الفكر، (١٤١٠هـ).

٣٦. النسفي، عبد الله بن أحمد، *كنز الدقائق*، بيروت: دار الفكر، (د. ت).